

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

مواكبة الحوار السنّي مع بيانات المحقق الخوئي

ثم استكمل المحقق الخوئي دراسة شتى المحتملات حول «سبعة أحرف» فاستعرض التفسير الرابع قائلاً: [1]

4 اللغات الفصيحة: إنّ الأحرف السبعة هي اللغات الفصيحة من لغات العرب، و أنّها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، و بعضه بلغة هذيل، و بعضه بلغة هوازن، و بعضه بلغة اليمن، و بعضه بلغة كنانة، و بعضه بلغة تميم، و بعضه بلغة ثقيف. و نسب هذا القول الى جماعة، منهم: البيهقي، و الأبهري، و صاحب القاموس.

و يرده:

1. أنّ الروايات المتقدمة قد عيّنت المراد من الأحرف السبعة (قائلة: ما لم تُختم آية عذاب برحمة، فموردها لا يُلائم و لا تتحدّث حول معنى اللغات الفصيحة) فلا يمكن حملها على أمثال هذه المعاني التي لا تنطبق على موردها (تلك الروايات).

2. أنّ حمل الأحرف على اللغات ينافي:

Ø ما روي عن عمر من قوله: «نزل القرآن بلغة مضر» [2] و أنّه (عمر) أنكر على ابن مسعود قراءته: «عنى حين» أي حتى حين، و كتب (عمر) إليه (ابن مسعود) أنّ القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش، و لا تُقرئهم بلغة هذيل [3] (فرسالة عمر – إلزاماً على العامة – تعدّ أماره و شاهد عيان على أنّ الأحرف السبعة ليست بمعنى مختلف اللغات، فاستنكاره كعُرف ذاك الزمن يُعرب عن زيف هذا التفسير).

Ø و ما روي عن عثمان أنّه قال: «للرّهط القرشيّين الثلاثة (حينما قدّموا إليه) إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» [4].

Ø و ما روي: «من أنّ عمر و هشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان، فقرأ هشام قراءة فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: هكذا أنزلت، و قرأ عمر قراءة غير تلك القراءة فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» [5] فإنّ عمر و هشام كان كلاهما من قريش (بينما الرسول الأكرم قد أمضى تغاير القراءات لا اللغات المتعددة) فلم يكن حينئذ ما يوجب اختلافهما في القراءة.

3. و يضاف إلى جميع ذلك أنّ حمل الأحرف على اللغات قولٌ بغير علم، و تحكّم من غير دليل (بتاتاً).

4. أن القائلين بهذا القول:

Ø إن أرادوا أن القرآن اشتمل على لغات أخرى، كانت لغة قريش خالية منها، فهذا المعنى خلاف التسهيل على الأمة الذي هو الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف على ما نطق الروايات بذلك (فمن المبرم أن لغة قريش قد حظيت أقصى المراتب) بل هو خلاف الواقع، فإن لغة قريش هي المهيمنة على سائر لغات العرب، وقد جمعت من هذه اللغات ما هو أفصحها، ولذلك استحققت أن توزن بها العربية وأن يرجع إليها في قواعدها.

Ø وإن أرادوا أن القرآن مشتمل على لغات أخرى ولكنها تتحد مع لغة قريش، فلا وجه للحرص بلغات سبع (بل ستحتضن كافة اللغات إذن) فإن في القرآن ما يقرب من خمسين لغة، فعن أبي بكر الواسطي: «في القرآن من اللغات خمسون لغة، وهي لغات قريش، وهذيل، وكنانة، وخنعم، والخزرج، وأشعر، ونمير...» [6].

5. (والمعنى الخامس) لغات مضر: إن الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات مضر خاصة، وأنها متفرقة في القرآن، وهي لغات قريش، وأسد، وكنانة، وهذيل، وتميم، وضبة، وقيس، ويرد عليه جميع ما أوردناه على الوجه الرابع.

6. (والمعنى السادس) الاختلاف في القراءات (و تباين اللهجات): إن الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءات، قال بعضهم (علماء الفرقة البكرية): إنني تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة:

Ø فمنها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: «هَنَ أَطْهَرُ لَكُمْ» بضم أطهر و فتحه.

Ø ومنها: ما تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل: «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» بصيغة الأمر والماضي.

Ø ومنها: ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل: «و طَلَحَ مَنْضُودٌ» و «طَلَعَ مَنْضُودٌ» (أي شجرة الموز أو أية ثمرة طويلة و طيبة الرائحة).

Ø ومنها: ما تتغير صورته ومعناه مثل: «كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» و «كَالصُوفِ الْمَنْفُوشِ».

Ø ومنها: بالتقديم والتأخير مثل: «و جاءت سكرة الموت بالحق» (كما في القرآن) و «جاءت سكرة الحق بالموت» (و السكرة هي حالة اللاشعورية واللاوعي حين انفصال الروح عن البدن).

Ø ومنها: بالزيادة والنقصان: «تَسْعُ وَ تَسْعُونَ نَعَجَةً أُثْنَى» و «أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَ كَانَ أَبُوهَ مُؤْمِنِينَ» «فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ لَهُمْ غُفُورٌ رَحِيمٌ».

و يردّه:

1. أن ذلك قول لا دليل عليه، ولا سيما أن المخاطبين في تلك الروايات لم يكونوا يعرفون من ذلك (أي لم تتبادر أذهانهم اختلاف قراءات بل قد فهموا ألا يخلطوا العذاب بالرحمة ولا يتغيروا الكلمات: السميع مكان العليم و...) شيئاً.

2. أن من وجوه الاختلاف المذكورة ما يتغير فيه المعنى وما لا يتغير، ومن الواضح أن تغير المعنى و عدمه لا يوجب الانقسام إلى وجهين، لأن حال اللفظ والقراءة لا تختلف بذلك، ونسبة الاختلاف إلى اللفظ في ذلك من قبيل وصف الشيء بحال متعلقه. و لذلك يكون الاختلاف في «طلح منضود. و كالعهن المنفوش» قسماً واحداً.

3. ان من وجوه الاختلاف المذكور بقاء الصورة للفظ، و عدم بقائها، و من الواضح أيضا أن ذلك لا يكون سببا للانقسام، لأن بقاء الصورة إنما هو في المكتوب لا في المقروء، و القرآن اسم للمقروء لا للمكتوب و المنزل من السماء إنما كان لفظا لا كتابة. و على هذا يكون الاختلاف في «و طلع. و ننشزها» وجها واحدا لا وجهين.

4. ان صريح الروايات المتقدمة أن القرآن نزل في ابتداء الأمر على حرف واحد، و من البين أن المراد بهذا الحرف الواحد ليس هو أحد الاختلافات المذكورة، فكيف يمكن أن يراد بالسبعة مجموعها!.

5. ان كثيرا من القرآن موضع اتفاق بين القراء، و ليس موردا للاختلاف، فإذا أضفنا موضع الاتفاق إلى موارد الاختلاف بلغ ثمانية. و معنى هذا أن القرآن نزل على ثمانية أحرف.

6. أن مورد الروايات المتقدمة هو اختلاف القراء في الكلمات، و قد ذكر ذلك في قصة عمر و غيرها. و على ما تقدم فهذا الاختلاف حرف واحد من السبعة، و لا يحتاج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في رفع خصومتهم إلى الاعتذار بأن القرآن نزل على الأحرف السبعة، و هل يمكن أن يحمل نزول جبريل بحرف، ثم بحرفين، ثم بثلاثة. ثم بسبعة على هذه الاختلافات؟! و قد أنصف الجزائري في قوله: «و الأقوال في هذه المسألة كثيرة، و غالبها بعيد عن الصواب». و كأن القائلين بذلك ذهبوا عن مورد حديث انزل القرآن على سبعة أحرف، فقالوا ما قالوا» [7].

[1] البيان في تفسير القرآن، ص: 185-188

[2] التبيان: ص 64.

[3] نفس المصدر: ص 65.

[4] صحيح البخاري: 1/ 156، كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش، رقم الحديث: 3244.

[5] صحيح البخاري: كتاب الخصومات، رقم الحديث: 2241.

[6] راجع الإتيان: 1/ 204-230، النوع 37.

[7] التبيان: ص 59.